

**Britain in the Awareness of Muslim Literature; Early Historical and Geographical Knowledge until the time of al-Idrīsī (217 AH/ 833 CE – 560 AH/ 1165 CE)**

بريطانيا في وعي التراث الإسلامي: حدود المعرفة التاريخية والجغرافية حتى عصر الإدريسي (217هـ/ 833م - 560هـ/ 1165م)

**Awāḍ Abdullah b. Sa'd b. Naḥee**

Associate Professor of Islamic History, College of Sciences and Arts- Najrān University

**عوض بن عبد الله بن سعد بن ناحي**

أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك كلية العلوم والآداب - جامعة نجران

Received: 25-02-2023

Accepted: 01-03-2023

تاريخ القبول: 2023-03-01م

تاريخ الاستلام: 2023-02-25م

### ملخص

حظيت بلدان وشعوب القارة الأوربية باهتمام المؤلفين المسلمين في ظل تنامي العلاقة بين العالم الإسلامي وأوروبا النصرانية وازدهار حركة التأليف عند المسلمين. والواقع أن الجزر البريطانية كانت جزءاً من هذا الاهتمام رغم بعدها المكاني عن ديار الإسلام. ومن هذا المنطلق، تعالج الدراسة الحالية أسئلة رئيسية عن ماهية بريطانيا كما تصورها المؤلفون المسلمون، وأسباب اهتمامهم بها، والعوامل التي ساهمت في تطور تلك الصورة خلال زمن الدراسة حتى منتصف القرن 6هـ/ 12م حيث عاش الجغرافي الإدريسي.

حاولت الدراسة تتبع بدايات تكوين مفهوم "بريطانيا"، وتشكّل صورتها المبكرة في مصادر التراث الإسلامي منذ بدايات حركة التأليف في العالم الإسلامي، وتحديدًا في الربع الأول من القرن 3هـ/ 9م حيث دُوّنت أول إشارة إلى "مرطانية". لكن التصور الذي صاغه الإدريسي للجزر البريطانية كان جديرًا بالنقاش، حينما أفرد مبحثاً مستقلاً عن بريطانيا فذكر جزرها الرئيسية، ووصف أهم مدنها وبلداتها العامرة في زمنه، وبعض أثمارها المعروفة، واجتهد في تحديد المسافات بين بعض تلك المدن والبلدات مع بعض الإشارات حول أوضاعها السياسية والاقتصادية. كل ذلك كان كافياً لإيضاح حجم الاهتمام الإسلامي المبكر بالجزر البريطانية، والذي ظل محصوراً في المعرفة الجغرافية في معظم كتابات المرحلة الزمنية التي تناولتها الدراسة.

**الكلمات المفتاحية:** الإسلام - بريطانيا - الجزر البريطانية - التراث الإسلامي - الإدريسي.

### Abstract

Muslim authors paid a significant interest in European peoples and countries in the view of growing the relationship between Muslim World and Medieval Christian Europe and the flourish of authorship in Muslim scholarship. In fact, a part of the Muslim's interest was given to the British Isles in spite of it is far distance of Muslim lands. Therefore, the present article focuses on principle significant questions; what was Britain for early Muslim authors? and what were the most important reasons for interesting those Muslim authors in it, and what were the most effective factors contributing in developing such interest until the mid-6<sup>th</sup> AH/ 12<sup>th</sup> century CE when the geographer al-Idrīsī was alive.

Hence, the researcher has to investigate the beginnings of the term "Britain" in Muslim traditional sources since the establishment of authorship in the Muslim world, particularly during first quarter of the 3<sup>rd</sup> AH/ 9<sup>th</sup> CE century when the first reference to "*Marṭāniyah*" was recorded. The al-Idrīsī's account on the British Isles is worthy to examine since he sheds light on its major islands, described in detail the most important British towns and cities in his time, and some of its well-known rivers. He also tried to determine the distances between some of these cities and towns by the mile, with some references to political and economic conditions in the British Isles in his time. All that clarifies the extent of early Muslim interest in the British Isles, seeming limited to the geographical knowledge among most Muslim writings during the period under study.

**Keywords:** Islam- Britain – British Isles – Muslim sources- al-Idrīsī.

## مدخل

الأوروبية. هناك عدة أسباب أدت إلى صياغة هذا السياق، وعدة أدوات ساهمت في تطوره واتساع معلوماته مع مرور الزمن، وفي مقدمتها تلك المصادر التي ساهمت في نمو المعرفة التاريخية والجغرافية الإسلامية عن بريطانيا منذ ظهور حركة التأليف عند العرب والمسلمين، خاصة التدوين الجغرافي، وصولاً إلى عصر أهم جغرافي عربي مسلم مثل ذروة الاهتمام الإسلامي المبكر بهذه البقعة الجغرافية البعيدة عن حدود العالم الإسلامي في ذلك الزمن، ونقصه به الشريف الإدريسي (توفي 560هـ/1165م) الذي ألف سفره المهم "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" بدعم أحد أهم ملوك أوروبا في عصره، "روجر الثاني" (Roger II) ملك صقلية النورمان (توفي 548هـ/1154م).

كل ذلك السياق الواسع يأخذنا إلى مناقشة أسئلة مهمة حول ماهية أسباب، وجذور، وحدود المعرفة التاريخية والجغرافية للمؤلفين المسلمين عن بريطانيا منذ ظهور حركة التأليف عند المسلمين. ثم يأتي سؤال آخر يبحث فيما طرأ من تطور لافيت على هذه المعرفة حتى عصر الإدريسي الذي خالط الأوروبيين وكتب عنهم.

وللإجابة على ما سبق، كان لابد من وضع إطار زمني وموضوعي لمجال الدراسة الحالية يبدأ من جذور وبدايات الاهتمام الإسلامي ببقعة جغرافية اسمها "بريطانيا"، وصولاً إلى عصر الإدريسي الذي مثل ذروة الاهتمام الإسلامي ببريطانيا في العصور الإسلامية الوسيطة.

## مرطانية، براطانية، أم برطينية؟ تكوين المفهوم في السياق الجغرافي

لطالما ارتبط ظهور الجزر البريطانية بوضوح في نصوص الجغرافيين والبلدانيين المسلمين في سياق نقاشاتهم عن مسائل وقواعد جغرافية محددة مثل خطوط الطول، ودوائر العرض، وأهم المسطحات المائية، والموانئ، والجزر، والبلاد المعمرة. والواقع أن أوائل نصوص التراث الإسلامي عن بريطانيا لم تخرج عن هذا السياق لكن ضبط المصطلح نفسه (أي بريطانيا وما يتعلق بها) أدى إلى خلاف صريح بين الباحثين حول أقدمها ذكراً للجزر البريطانية. فقد زعم المؤرخ البريطاني "دنلوب" (DM Dunlop) استناداً إلى الإيطالي "كارلو نلينو" (C. A. Nallino) أن كتاب "صورة الأرض" لعالم الرياضيات والجغرافي الشهير "محمد بن موسى الخوارزمي" (توفي بعد 232هـ/847م) تضمن أقدم إشارات إلى مواضع في بريطانيا بأسمائها الإغريقية استناداً إلى ما كتبه الجغرافي والفلكي الإغريقي "بطليموس القلوذي" (Claudius Ptolemy)<sup>6</sup>، مثل "أولى مدينة كبيرة على البحر" (Aluya) والتي يزعم أنه يقصد بها بريطانيا نفسها، و"إبرقي" (Iburiqi) والتي تشير إلى مدينة "يورك" (York)، و"لندنن" (Lundinun) أي العاصمة "لندن"<sup>7</sup>.

لم تجد هذه المزاعم اهتمام المؤرخين الغربيين الذين أتوا بعده، ففي مقاله الذي تناول بدايات اهتمام المؤلفين المسلمين بالقارة الأوروبية<sup>8</sup>، سلط "برنارد لويس"

ثمة اهتمام أولته مصادر التراث الإسلامي بأوروبا خلال العصور الوسيطة في أكثر من سياق يأتي في مقدمتها الاهتمام بالتأريخ للعلاقة بين العالم الإسلامي والغرب الأوروبي، وثانيها في ضوء توسع المعرفة الجغرافية عند الجغرافيين والرحالة العرب. لم تكن الجزر البريطانية (British Isles) غائبة عن ذلك الاهتمام، ولا عن تلك الرحلات التي وصلت إلى بقاع مختلفة في القارة الأوروبية<sup>1</sup>. والجزر البريطانية في الواقع أرخبيل من الجزر قبالة الساحل الشمالي الغربي للقارة الأوروبية، أكبرها جزيرتي "بريطانيا العظمى" (Great Britain)، و"إيرلندا" (Ireland)، إضافة إلى مجموعة من الجزر الأصغر مساحة مثل جزر "أوركني" (Orkney)، و"سيلي" (Scilly)، و"مان" (Man)، و"هيبيريدس" (Hebrides)، و"شيتلاند" (Shetland) وغيرها<sup>2</sup>.

وقد وردت العديد من الإشارات المتفرقة عن هذه الجزر في مصادر التراث الإسلامي منذ الربع الأول للقرن الثالث الهجري، وتحديدًا في كتابات الجغرافيين والرحالة، وهو ما استدعى اهتمام أكثر من دراسة ناقشت تلك الإشارات المبكرة لـ "بريطانيا" على وجه التحديد من حيث أقدميتها، وماهيتها، ومصادرها وأهميتها المعرفية. لكن دراسة غربية حديثة تناولت قصة أسر "هارون بن يحيى السوري" في مدينة عسقلان بفلسطين، تجعلنا نعيد النقاش حول مسألة السرد الإسلامي المبكر عن "بريطانيا". ففي نص رحلته الذي حفظ ابن رسته (توفي حوالي 300هـ/913م) جزءاً منه، يذكر هارون بن يحيى أنه حُمل أسيراً إلى "القسطنطينية"، ثم انتقل إلى "رومية" (روما)، وظل متنقلاً بين أكثر من مدينة وبلد أوروبي، حيث أشار إلى: "... برطينية (بريطانيا) وهي مدينة كبيرة على ساحل بحر المغرب ويتملك عليها سبعة من الملوك، وعلى باب مدينتها صنم إذا رام الغريب أن يدخلها نام فلا يمكنه دخولها حتى يأخذه أهل المدينة فيقفوا على مغزاه ومقصده في دخول المدينة، وهم قوم نصارى، وهم آخر بلاد الروم وليس ورائهم عمران"<sup>3</sup>. ترى "كيتلين قرين" (Caitlin Green) التي درست هذا النص أنه يحمل كنزاً ثميناً يصوّب أكثر من مسألة جوهرية في تاريخ الجزر البريطانية نفسها، وفي مقدمتها الشكوك حول أن بريطانيا كانت مقسمة إلى سبع ممالك، حيث تضمن نص الرحلة أقدم إشارة صريحة إلى ما يعرف في التاريخ البريطاني الوسيط بـ "الممالك السبع" (The Heptarchy) التي قامت بين أواخر القرن الخامس والنصف الثاني للقرن التاسع الميلاديين<sup>4</sup>، فضلاً عما يحمله من أدلة غير مباشرة على الصلات التجارية بين الإمبراطورية البيزنطية والجزر البريطانية، أو بين الأخيرة ودولة الإسلام في الأندلس<sup>5</sup>.

في الدراسة الحالية، ثمة أهمية مختلفة يحملها هذا النص في صياغة الوعي الإسلامي المبكر بماهية الجزر البريطانية، فقد تشكل الاهتمام الإسلامي بالجزر البريطانية ضمن سياق أوسع يُعنى بتطور الاهتمام الإسلامي المعرفي بالقارة

البلدان" <sup>18</sup>. والأرجح أن هذه الإشارة اليتيمة تشير إلى بريطانيا في ظل تقارب المصطلح، لكنها لا تحمل أي محتوى تاريخي، أو جغرافي واضح.

أما ابن خرداذبة فقد ضمن كتابه إشارة مهمة إلى "... اثنتا عشرة جزيرة وهي الجزائر التي تسمى جزائر برطانية..." في معرض حديثه عن تلك البلدان المطلّة على "... البحر المُسَمَّى بالحِيط ... " <sup>19</sup>. تبدو إشارة ابن خرداذبة هنا أكثر وضوحاً من الخوارزمي ذلك أنه يشير إلى الجهة التي تقع فيها بريطانيا، ويحدد حالتها الجغرافية بأنها مجموعة من الجزر، وهي كذلك وإن لم يكن هذا العدد دقيقاً، كما أنّها معلومة سنجدتها تتكرر لاحقاً كما سيرد في ثنايا الدراسة. لكن هذه الإشارة النادرة لم تتجاوز سياق المعرفة الجغرافية، أو حتى التعريف بسكان تلك البقعة، وهو ما قرره "دانيال كونينغ" <sup>20</sup>.

من الواضح أن إشارتي الخوارزمي وابن خرداذبة المبكرتين بدتا خاليتين من أية مضامين تاريخية على خلاف ابن رسته الذي يورد أكثر من نص عن الجزر البريطانية. فرغم أن هذا الأخير لم يبتعد كثيراً عن السياق العام للمؤلفين المسلمين في زمنه والمتمثل في التركيز على المسائل الجغرافية، إلا أن ما يورده من إشارات تاريخية في غاية الأهمية كما فصلت في ذلك "كينتلين قرين" <sup>21</sup>. على أن الملاحظ على النص الأول غلبة السرد الجغرافي على كثير من تفاصيله بدليل سرده للمواضع المطلّة على "بحر أوقيانوس" (المحيط الأطلسي) حيث تقع: "... من ناحية الشمال اثنتا عشرة جزيرة تسمى جزائر برطانية..." <sup>22</sup>. بل نجد أن السرد الجغرافي يتكرر في النص الثاني المنقول عن هارون بن يحيى، إذ غلب عليه وصف أحوال المدن، والموانئ، والمسالك التي وصلها أو حصل على معلومات عنها، باستثناء إشارته المقتضبة عن "الملوك السبعة". والملاحظ أن النص المتعلق برحلة هارون ابن يحيى رغم أهميته الاستثنائية لم يجد اهتمام معظم المؤلفين المسلمين المعاصرين له، أو حتى من عاشوا لاحقاً ممن سيرد ذكرهم في ثنايا الدراسة الحالية.

سنجد مؤلفاً معاصراً لابن رسته تحدثت عما يخص فقط المحيط الأطلسي والبلدان المطلّة عليه ومنها بريطانيا، حيث ترد رابع أقدم الإشارات المتوفرة عن بريطانيا في المصادر المتاحة في كتاب مختص بعلم الفلك ورصد حركة الكواكب. ففي معرض حديثه عن العمران الذي امتد إلى بقاع كثيرة في زمنه وصولاً إلى " إلى جزيرة ثولي التي في برطانية حيث يكون طول النهار الأطول عشرين ساعة" <sup>23</sup>، أشار "ابن البتاني" (توفي عام 317هـ/ 929م) إلى أن "... بحر أوقيانوس الغربي الذي يدعى الحيط لا يعرف منه إلا ناحية المغرب والشمال من أقصى أرض الحبشة إلى برطانية..." <sup>24</sup>.

تبين هذه الإشارات أن ابن البتاني لم يبتعد كثيراً عن واقع بريطانيا الفعلي جغرافياً فهي مجموعة جزر تقع في شمال المحيط الأطلسي، كما أن ساعات النهار بما تطول في أيام الصيف لتقترب من العشرين ساعة. غير أن معلوماته التاريخية بدت فقيرة للغاية على خلاف معارفه الجغرافية التي أظهر فيها وعياً متقدماً كما أسلفت. وسبب ذلك اعتماده على أكثر من مؤلف جغرافي وفي

(Bernard Lewis) الضوء على نص "ابن خرداذبة" (توفي نحو 280هـ / 893م) عن القارة الأوروبية، حيث زعم الأخير أن "أروني" (أي أوروبا) تضم فقط "...الاندلس والصقالبة والروم وفرنجة وطنجة والى حد مصر..." <sup>9</sup>. لكن اللافت للنظر أن "لويس" تجاهل إشارة ابن خرداذبة المهمة عن "جزائر برطانية"، وانتقل مباشرة إلى نص "ابن رسته" عن "برطانية" <sup>10</sup>.

تبني "نزار هيرمس" (Nizar F. Hermes) نفس النص حينما زعم أن هارون بن يحيى، الذي حفظ لنا ابن رسته بعض تفاصيل رحلته، يعد أقدم رحالة مسلم أشار صراحة إلى "برطانيا" <sup>11</sup>. لكن هذا الرأي لا يجد قبولاً عند "دانيال كونينغ" (Daniel G König) الذي يؤرخ بداية اهتمام التراث الإسلامي بالجزر البريطانية من ذلك النص الذي أشار فيه ابن خرداذبة إلى "جزائر برطانية" والذي سيرد النقاش حوله في الصفحات التالية <sup>12</sup>.

الواقع أن هذا الخلاف يأخذنا إلى مشكلة معرفية مفادها أن تاريخ، وحضارة، وهوية شعوب الجزر البريطانية ظلت مجهولة لمعظم مصادر التراث الإسلامي المبكرة على اختلاف اختصاصاتها المعرفية (التاريخ، الجغرافيا، الأدب، المعاجم وغيرها) حتى وإن تضمنت إشارات جغرافية واضحة لأرض اسمها "برطانيا". ورغم اكتشاف العديد من العملات ذات الطابع العربي الإسلامي في بريطانيا، وفي مقدمتها دينار "أوفا" ملك مرسيا الأنجلوسكسونية (Offa of Mercia) <sup>13</sup>، إلا أن مصادر هذه المرحلة الزمنية تكاد تخلوا من الحديث عن أية صلات تجارية بين العالم الإسلامي والجزر البريطانية. بل إن هذه المصادر لا تشير من بعيد أو قريب للملك الأنجلوسكسوني الذي كان ديناره العربي الإسلامي مثار نقاش طويل بين الباحثين حول حقيقة ديانة هذا الملك المثير للجدل <sup>14</sup>.

كل ذلك يأخذنا إلى نتيجة عملية مفادها غياب هذا البلد (أي بريطانيا) وشعوبها، وتاريخها السياسي، والحضاري، والديني عن الوعي المعرفي العربي في هذه المرحلة المبكرة، بخلاف بلدان وشعوب أوروبية أخرى نجد عن أحوالها، وتاريخها، وتقاليدها إشارات مبكرة مثل الروم، واليونان، والفرنجة، والقوط، واللان، والصقالبة والروس <sup>15</sup>.

إن عودة متأنية إلى كل ما كتبه الخوارزمي ومن بعده ابن خرداذبة تجعلنا نعيد النظر في ذلك السؤال الجوهري عن أقدم مصدر إسلامي تضمن إشارة صريحة وواضحة إلى موضع جغرافي اسمه "برطانيا". رغم ما يعتري النسخة المطبوعة لكتاب "صورة الأرض" من صعوبات في قراءة مصطلحاتها، وافقاداتها للشروحات وثبت المواضع والأعلام، إلا أن موضعاً آخر لم يناقشه "دنلوب" و "نلينو" في كتاب "صورة الأرض" يتضمن إشارة صريحة إلى "بحر مرطانية" كأحد تلك البحار المتصلة ببحر طنجة (المحيط الأطلسي)، وبحر برقة، وبحر افريقية (البحر المتوسط) <sup>16</sup>. وهو نص أعاد اقتباسه بعد قرن من الزمان مع بعض التعديلات مؤلف كتاب "عجائب الأقاليم السبعة" <sup>17</sup>، الذي أشار إلى "بلاد مرطانية" في ضوء استعراضه لـ "المواضع التي تكتب فيها حدود

تحديداً عن سكان الجزر البريطانية بدليل تصوره السليبي تجاه أخلاق وديانة سكانها، حيث زعم أنهم شعب بلا دين مخالفاً بذلك ابن رسته الذي أشار صراحة إلى أنهم "قوم نصارى" كما سبق الإشارة إليه. لكن تصور الهمداني السليبي حول عادات وتقاليد شعوب الجزر البريطانية يمثل انطباعاً شائعاً تزخر به انطباعات مؤلفين مسلمين آخرين تجاه الصورة الأخلاقية والحضارية لشعوب أوروبا العصور الوسيطة<sup>36</sup>.

وعلى كل حال فإن زعم الهمداني حول ديانة الشعب البريطاني لا يستقيم مع السرد التاريخي الكنسي الذي ينص على أن تاريخ انتشار النصرانية في الجزر البريطانية أقدم بقرون من عصر الهمداني، ولا يقل عن القرن السادس الميلادي حينما نجحت بعثة التنصير التي بعث بها البابا "غريغوري الأول" (Gregory I) في إعادة نشر النصرانية على نطاق واسع بين شعوب الجزر البريطانية، وأقامت كنائس وأبرشيات جديدة لتثبيت نفوذ الكنيسة هناك<sup>37</sup>.

ومن الواضح أن من أتى لاحقاً من مؤلفي القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي وتحديداً المسعودي (توفي 346هـ/ 957م) وصاحب كتاب "حدود العالم" المجهول (توفي بعد عام 372هـ/ 982م) اقتبسوا النص الذي ذكر فيه ابن رسته أن ما وقع شمال المحيط الأطلسي يشير إلى: "... اثنتي عشرة جزيرة تدعى جزائر برطانية بعضها عامرة والأخرى غير عامرة..."<sup>38</sup>. وفي موضع آخر فإنها تمثل "... آخر مدينة من الروم على ساحل بحر الأوقيانوس..."<sup>39</sup>. ورغم زعمهما الاعتماد على بطليموس كمصدر لمعلوماتهما، إلا أنهما على الأرجح اكتفيا بالنقل عن ابن رسته مباشرة.

أما ابن الفقيه الهمداني (توفي عام 365هـ/ 976م) المعاصر لهما فقد سجل نصاً متناقضاً وملتبساً بالتصورات الإيجابية والسلبية في آن واحد حينما تحدث عن عادات وطبائع ساكني "برطانية" فهم في رأيه "... أعزاء غير خاضعين، يحسنون أخذ السلاح والعمل به، وهم أصحاب زي ولباس...". لكنه اتهمهم في بقية النص بممارسة الشذوذ والزنا والفضوى الأخلاقية<sup>40</sup>. والواضح أن ابن الفقيه يتفق هنا مع الهمداني في تصوره السليبي وإن اختلفت الصيغة والمفردات. لكن الاختلاف الوحيد يتمثل في إشادة ابن الفقيه بالاستقلال السياسي للجزيرة البريطانية، وامتلاك سكانها مهارات القتال وهي مسألة طبيعية امتازت بها أوروبا العصور الوسطى بسبب واقعها السياسي الغير مستقر.

ويبدو أن ما دونه ابن الفقيه، وقبله الهمداني، لم يجد اهتمام من جاء بعدهما وتحديداً البكري الأندلسي (توفي 487هـ/ 1094م) الذي أعاد تكرار تصورات ابن خرداذبة، وابن رسته، وابن البتاني بقوله أن "... برطانية الجزيرة العظمى...". وبقرنها "إحدى عشرة جزيرة" تمثل أهم منطقة مطلة على "بحر الظلمات" (المحيط الأطلسي) في أقصى الشمال، حيث تمثل جزيرة "نولي" آخر مدينة عامرة في هذه البلاد<sup>41</sup>. والجدير ذكره أن البكري اعتمد تحديداً على

مقدمتهم معاصره ابن رسته بدليل اقتباسه الحرثي لنفس النص الذي يشير إلى: "... جزائر برطانية وهي اثنتا عشرة جزيرة ثم يبعد عن العمران فلا يعرف أحد كيف هو ولا ما فيه..."<sup>25</sup>.

والمدقق فيما كتبه الفلكي المسلم عن "برطانيا" يستنتج بسهولة أنه اعتمد أكثر على ما دونه الجغرافي والفلكي الإغريقي "بطليموس"، خاصة وأنه أشار إليه صراحة في عدة مواضع من كتابه<sup>26</sup>. فقد أشار ابن البتاني لأول مرة إلى جزيرة "نولي" (Thule) والتي لا يخلو النقاش حولها من السرد الأسطوري واختلاف المؤلفين في نفس الوقت، إلا أن الجغرافي المسلم تبنى رؤية "بطليموس" في صياغة تصوره عن هذه الجزيرة حينما اعتبرها واحدة من الجزر البريطانية<sup>27</sup>. ولعل المتصفح لكتاب بطليموس الآخر "الجغرافيا" (The Geography: Γεωγραφία) سيجد أنه قد أشار بالفعل إلى الجزيرة محل الجدل في مواضع كثيرة<sup>28</sup>. لكن أقدم ذكر لجزيرة "نولي" ورد في مصدر إغريقي أقدم، وتحديداً في ما كتبه "بيثياس الماسيلي" (Pytheas of Massalia) في القرن الرابع قبل الميلاد<sup>29</sup>. إلا أن الخلاف لا زال قائماً حول تحديد موقعها الفعلي المختلف فيه أصلاً بين قائل أنها تقع في البلدان الإسكندنافية، وآخر يرجح أنها تقع في الجزر البريطانية، ولعل أهم أسباب هذا الخلاف فقدان كتاب "بيثياس الماسيلي"، على أنه من المهم التنويه هنا إلى أن جزيرة "نولي" في تصورات الرواية الإغريقية كانت أبعد بقعة جغرافية في شمال الأرض<sup>30</sup>.

وإذا ما انتقلنا إلى مؤلفين مسلمين لاحقين فإن نقاشاتهم في غالبها لم تخرج عن سياقات المعارف الجغرافية، وقليل من التاريخية، إذ سنجد أن نقاش الهمداني (توفي 334هـ/ 946م) حول "برطانيا" لم يخرج عن تحديده للمواضع الواقعة على دوائر العرض ابتداءً من "الدائرة الموازية التاسعة عشرة"، والتي ترمز "... بأقاصي ناحية الجنوب من بلاد برطانيا...". وصولاً إلى "الدائرة الموازية الخامسة والعشرون..."<sup>31</sup>. والملاحظ أنه بدأ أكثر دقة وهو ينص على أن "الدائرة الموازية الثانية والعشرون" ترمز بالموضع الذي أسماه بـ "... بريغانطيس من بلاد برطانيا الكبرى..."<sup>32</sup>، ويبدو أنه يشير هنا إلى بلدة "بريغ" (Breage) الواقعة في أقصى جنوب غرب جزيرة بريطانيا العظمى<sup>33</sup>. وفي تناوله لجنس ساكنيها، سنجد أن الهمداني يعتبر أن بريطانيا من "بلاد الصقالبة" إضافة إلى بلدان أوروبية أخرى مشهورة مثل "... غلاتيا وجرمانيا وباسطرنيا وإيطاليا وغاليا وأبوليا وسقيليا وطورنيا وقالطقي وسبانيا...". لكن تصوره لطبائع وعادات تلك الشعوب بدأ سلبياً بشدة حينما زعم أن "... سكانها في أكثر الأمر وحشيين متهورين، أخلاقهم قريبة من أخلاق السباع يعني متهورين لا دين لهم"<sup>34</sup>.

ولعل أول استنتاج نقرأه من هذه الإشارات أن الهمداني اعتمد في بناء معظم تصوره للجزر البريطانية على ما دونه بطليموس في كتاب "المجسطي" لذلك بدت معلوماته تفصيلية شبه مطابقة لما كتبه المؤلف الإغريقي<sup>35</sup>. أما الاستنتاج الثاني فيتمثل في أن الهمداني أبدى اختلافاً واضحاً مع ما دونه ابن رسته

فلا غرابة إذاً أن تحظى كتابات الإدريسي عن الجزر البريطانية باهتمام لافت في الدراسات الحديثة نظراً لما تضمنته من تفاصيل غزيرة عن الأحوال الاقتصادية والحضارية عن هذه المنطقة في عصر المؤلف، فقد تميزت بـ "...المقدرة والمهارة التي اقتضتها الظروف العلمية لذلك العهد"<sup>46</sup>، فهو في أحد الآراء بماتل في تأثيره "جغرافيا استرابون" (Strabo's Geographica: Γεωγραφικά)، وفي رأي آخر "يحتل مركز الصدارة بين كل ما ألف في الجغرافيا في العصور الوسطى"<sup>47</sup>.

دَوّن الإدريسي أكثر من نص عن "أسماء البلاد البريطانية" في زمنه، حيث استهل تلك النصوص بذكر عدة مدن معظمها مطلة على البحر مثل "...نانطس، ورينش، وشنت مجيال، ودول، ودنام، وشنت مهلو، وشنت مئاو، ولنيونش، وكرتنين، وكنبلرين، وفينش وردون، وباتس..."<sup>48</sup>. اللافت أن "بيستون" (Beeston) تجاوز هذا النص في دراسته التحليلية عن نصوص الإدريسي التي سترد معنا في ثنايا هذه الدراسة<sup>49</sup>.

إن المدقق في المصطلحات والمواضع الجغرافية بأوروبا سيدرك سبب تجاوز "بيستون" للنص السابق، فإذا ما تمعنا في أسماء هذه المدن فإن ثمة مشكلة تواجهنا في تحرير المصطلح ومقابلته على أصله الأوروبي، أو حتى في تحديد مواقعها الجغرافية. والواضح أن الإدريسي يشير هنا إلى عدة مدن غرب فرنسا، وبعضها مطلة على الشق البحري المقابل للجزر البريطانية مثل مدينة "نانت" (Nantes) الشهيرة والتي أشار إليها باسم "نانطس"، و"رين" (رينش: Rennes)، و"فان" (فينش: Vannes)، وجزيرة "جبل القديس ميشيل" (شنت مجيال: Mont-Saint-Michel) بساحل النورماندي، ومدينة "دول" (Dole) المعروفة باسمها إلى اليوم، وبلدة "ردون" (Redon) المحتفظة باسمها إلى اليوم. بعد التدقيق في الجغرافيا البلداية التي تشمل معظم هذه البلدات اتضح لنا أن ثمة اسم جامع يشملها ألا وهو إقليم "بريتاني" (Brittany) الذي لا زال معروفاً في التقسيم الإداري لفرنسا حتى اليوم<sup>50</sup>. ويبدو أن "بريتاني" الفرنسية التبتت على المؤلف فأطلق عليها "برطانية" دون أن يميزها عن الجزر البريطانية. ولعل الملاحظ أن الإدريسي أشار لها في موضع آخر باسم "...عدوة البحر من الأرض الكبيرة..."<sup>51</sup>.

كل ذلك يبين لنا سبب عدم اهتمام "بيستون" بهذا النص، وانتقاله إلى وصف الإدريسي للجزر البريطانية حيث استهل حديثه بوصف "إنجلترا" (إنجلترا)، فقد ذكر أن "...بها مدائن عامرة، وجبال شاهقة، وأودية جارية، وأرض سهلة، وفيها خصب زائد. ولأهلها جلادة وعزم وحزم والشتاء بها دائم، وأقرب بر إليها وادي شنت من أرض إفلاندرش، وبين هذه الجزيرة والبر الكبير مجاز سعته اثنا عشر ميلاً"<sup>52</sup>. ويرى "بيستون" أن الإدريسي يصف هنا المنطقة الواقعة بين جنوب شرق إنجلترا إلى "إفلاندرش" ويقصد به مقاطعة "فلاندرز" (Flanders) البلجيكية اليوم، حيث يفصل بينهما "القنال الإنجليزي" (English Channel) الذي كناه بـ "المجاز"، وجنوبها تقع

الهمداني في تحديد كثير من المواضع الجغرافية في جزيرة العرب في كتابه الآخر "معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع" وهو ما يرجح اطلاعه على ما كتبه المؤلف اليمني عن الجزر البريطانية، لكنه فضل نقل ما دونه ابن خرداذبة، وابن رسته، وابن البتاني.

إلا أن نصاً قصيراً أورده البكري عن "بلاد الأناضول" يؤكد اطلاعه على مصدر آخر لم يذكره، غير أن وصفه بدا غامضاً ومضطرباً إذا زعم أن "... الأناضول وهم جنس من الأتراك نزلوا مصابين (أي ملاصقين) للصقالبة، وحدهم بلدهم في الغرب بلد بويرة وبلد بويصلاو..."<sup>42</sup>. ثم عاد في آخر الكتاب ليشير إليها في معرض حديثه عن حدود "بلاد الإفرنج" التي تمتد إلى "...الجبل المعترض في الجوف إلى البحر المحيط، ويتصل بالصقالبة بلاد الجوس المعروفين بالأناضول"<sup>43</sup>. من المرجح أن البكري قصد هنا الإشارة إلى "الإنجليز"، لكنه اعتبرهم من الشعوب التركية في المرة الأولى، بينما عددهم في إشارته الثانية من شعوب "الفايكنج" (Vikings) الذين كان يسميهم أهل الأندلس بـ "الجوس" في ذلك الزمن<sup>44</sup>. وبناءً على ذلك، يمكن اعتبار البكري أقدم مؤلف مسلم يشير إلى الإنجليز كأحد الشعوب الأوروبية ولكن دون أن يصل إلى تعريف واضح وصريح لأصولهم العرقية، وبقعتها الجغرافية.

ويتضح مما سبق، أن المؤلفين المسلمين استخدموا أكثر من مفردة متقاربة في الإشارة إلى "بريطانيا" دون أن يتفوقوا على مصطلح موحد مثل تعريفهم بأرض الروم أو الفرنجة على سبيل المثال لا الحصر. لكن أهم نتيجة يمكن الوصول إليها تتمثل في أنه رغم أن بعض هؤلاء المؤلفين المسلمين قدّم معلومات متناثرة ولافتة معتمداً على مصادر استثنائية مثل رحلة هارون بن يحيى، إلا أن تراث بطليموس الجغرافي أدى الدور الأهم في صياغة تصوراتهم عن الجزر البريطانية حتى نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. لذلك بدت معارفهم التاريخية عن بريطانيا محدودة لا تتجاوز ما نقله بعض الرحالة من انطباعات ومعلومات مقتضبة كتلك التي رواها ابن رسته عن هارون بن يحيى.

### "برطانية" في تصورات الإدريسي: إعادة صياغة المعرفة الجغرافية

ثمة تصوّر مختلف يقدمه لنا الإدريسي عبر تفاصيل غزيرة ومعلومات مهمة لا نكاد نقرأها عند من سبقه من الجغرافيين المسلمين، وتحديدًا عن الجزر البريطانية موضوع البحث الحالي. ولعل سبب ذلك يتمثل في شخصية الإدريسي نفسه ومسيرته المعرفية والمهنية التي جعلت منه علامة عصره، فقد ولد وعاش حياته المبكرة في سبتة بالمغرب، ثم انتقل إلى الأندلس واستقر بقرطبة حقبة من الزمن، ونال قدراً جيداً من التعليم، قبل أن ينتقل إلى المشرق الإسلامي فطاف مصر، والشام، والحجاز، وآسيا الصغرى. ولاحقاً قضى الإدريسي مرحلة مهمة من حياته متجولاً في القارة الأوروبية حتى استقر في جزيرة صقلية وحظي برعاية ملكها النورماندي "روجر الثاني"، حيث رسم له خريطة العالم، وألف كتابه الشهير "نزهة المشتاق" الذي جمع فيه عصارة خبرته وحصيلته المعرفية الضخمة من ملاحظاته الشخصية، أو مصادره المستقلة<sup>45</sup>.



إنجلترا، وبلدة "يارموث" (Yarmouth) المطلّة على الساحل الغربي لإنجلترا والتي نعتها الإدريسي بـ "جرنموث" (Gernemutha)، ثم "سلايرس" أو "سالزبري" (Salisbury) وهي مدينة إنجليزية تقع في مقاطعة "ويلتشير" (Wiltshire) بغرب إنكلترا.

ثم يُعرِّج المؤلف على مدن الساحل الجنوبي فيذكر "هنتونة" التي تشير إلى مدينة "هانتون" (Hantune)، أو ما يُعرف اليوم بـ "ساوثهامبتون" (Southampton) الساحلية الشهيرة، حيث يصب بها "نهر عونستر" ، أي نهر "وينشستر" (Winchester River) والذي يسمى اليوم بنهر "تست" (Test). ومنها ينتقل إلى الجنوب الشرقي إلى بلدة "شورهام" ويقصد بها "شورهام" (Shoreham)، والتي تُعد اليوم إحدى الضواحي الغربية لمدينة "برايتون" الساحلية (Brighton)، ثم بلدة "هستينكش" (هستينغ: Hastings) وكلاهما تقعان اليوم ضمن مقاطعة "شرق ساسكس" (East Sussex) بجنوب لندن حالياً. لكن اللافت أنه لم يذكر المدينة الأشهر والأكبر والتي تعتبر اليوم عاصمة مقاطعة "شرق ساسكس"، ونقصد بذلك "برايتون" والتي كانت مستوطنة صغيرة في ذلك الوقت<sup>58</sup>.

ومن المدن الساحلية ينتقل الإدريسي إلى الداخل الإنجليزي ومدنه الكبرى قائلاً: "... فمن مدينة دبرس (دوفر: Dover) إلى موقع نهر لوندريس (نهر لندن: The River of Londres) في البحر عشرون ميلاً، ومن موقع هذا النهر إلى مدينة جرنموث (يارموث: Yarmouth) المذكورة أربعون ميلاً، فذلك من مدينة دبرس إلى جرنموث على البحر ستون ميلاً. ونهر لوندريس اسمه رطانرة (التائمز: Thames)، وهذا النهر كثير الجري كثير الماء وجريه من وسط الجزيرة فيصل إلى مدينة عركة فرت (أكسفورد: Oxford) على مقدار خمسين ميلاً ويجتاز جنوب مدينة عركة فرت فيمر منها إلى مدينة لوندريس (لندن: London) المذكورة أربعين ميلاً، ثم يمر من لوندريس فيصب في البحر كما ذكرناه. ومن مدينة جرنموث إلى مدينة نرغيق (نورويتش: Norwich) تسعون ميلاً، ومدينة نرغيق مرتفعة عن البحر مقدار عشرة أميال. ومن مدينة نرغيق إلى مدينة أغريمس (جريمسي: Grimsby) على البحر ثمانون ميلاً، فذلك من مدينة جرنموث إلى مدينة أغريمس على البحر مائة ميل وخمسون ميلاً، ومن مدينة جرنموث المذكورة ينعطف البحر آخذاً في جهة الشمال على استدارة، ومن مدينة أغريمس المذكورة إلى مدينة أفرويك (يورك: York) ثمانون ميلاً، وهي على بعد من البحر المظلم وعلى طرف جزيرة سقوسية (سكوتيا: Scotia) المتصلة بجزيرة إنقلطارة (إنجلترا: England) وهي جزيرة ذات طول آخذه في شمال الجزيرة الكبيرة وليس بها عمارة ولا مدينة، ولا قرية وطولها مائة وخمسون ميلاً. ومن مدينة أفرويك إلى موقع نهر بشكه (بوسطن: Boston) مائة وأربعون ميلاً وبشكه حصن على هذا النهر مرتفع عن البحر ثمانين ميلاً. ومن مدينة أغريمس المذكورة قبل إلى مدينة نقولس

بلدة "وادي شنت" الفرنسية (ويسانت: Wissant)<sup>53</sup>، وهي ميناء صغير تبخر منه "... المراكب الداخلة إلى جزيرة إنقلطارة..."<sup>54</sup>.

والواضح من وصف الإدريسي حرصه على ذكر كثير من المدن الإنجليزية العامرة في زمنه، والتنويه بخصوصية أرضها الزراعية، وجمال تضاريسها فضلاً عن طقسها البارد معظم أيام السنة. واللافت أيضاً أن المؤلف قد خالف الصورة السلبية التي قدمها الهمداني وابن الفقيه عن سمعة سكان الجزر البريطانية، إذ نجده يشيد بـ "جلادة وعزم وحزم" شعوب الجزر البريطانية (الأنجلو-سكسونيون: The Anglo-Saxons).

لكن الأهم والأبرز في وصفه الجغرافي يتمثل في الحرص الدائم على ذكر المسافة بين كل مدينة وأخرى مثل حديثه عن "... مدينة سهستار وبينها وبين البحر اثنا عشر ميلاً، وهي مدينة حسنة عامرة على نهر كبير يأتيها من جهة الشمال فيصب في البحر بشرقيها، ومن هذه المدينة إلى مدينة غرهام على الساحل ستون ميلاً"<sup>55</sup>. ويرجح "بيستون" أن "سهستار" التي عناه الإدريسي تشير إلى مدينة "دورشيستر" (Dorchester) الواقعة في الجنوب الغربي بالقرب من مصب نهر "فروم" (Frome)، وذات الحال ينطبق على "غرهام" التي يرى أنها ليست سوى بلدة "ويرهام" (Wareham)<sup>56</sup>.

وفي الشطر التالي من النص، يفصّل الإدريسي في وصف سلسلة مدن، وبلدات، وأحبار في الجهة الجنوبية من إنجلترا وصولاً إلى مدن الساحل البريطاني الجنوبية والجنوب شرقية قائلاً: "... ومن مدينة سهستار أيضاً إلى مدينة سلابرس في البر من جهة الشمال ستون ميلاً، وهي مدينة جلييلة على شرقي النهر الذي يصب في مدينة سهستار. ومن مدينة غرهام أيضاً إلى طرف هنتونة، وهو قرطيل يدخل في البحر خمسة وعشرون ميلاً، وعلى طرفه من ناحية المشرق مدينة هنتونة، وهي مدينة عامرة ويصب بها من ناحية شرقيها نهر عونستر. وعونستر مدينة برية وبين هنتونة وعونستر ثمانون ميلاً، ومن عونستر إلى سلابرس أربعون ميلاً في جهة الغرب، ونهر عونستر يخرج من جبل معترض في وسط الجزيرة. ومن هنتونة إلى مدينة شورهام ستون ميلاً وهي على نهر البحر، وهي مدينة جلييلة متحضرة فيها إنشاء وعمارة. ومنها مع الساحل إلى مدينة هستينكش خمسون ميلاً، وهي مدينة مقدرة الكبر كثيرة البشر عامرة جلييلة ذات أسواق وفعلة وتجار مياسير. ومنها مع الساحل شرقاً إلى مدينة دبرس سبعون ميلاً، وهي أيضاً مدينة كبيرة وهي على رأس المجاز الذي يجاز منه إلى البر المتصل بالأرض الكبيرة"<sup>57</sup>.

الواضح أن هذا النص يتضمن وصف مدن لا تزال قائمة إلى اليوم ولكن بمسميات العصور الوسطى، أو "الأنجلو-سكسونية" (Anglo-Saxon)، إذ نجد المؤلف يذكر "درته موده"، ويقصد بها بلدة "دارموث" (Dartmouth)، الواقعة بمقاطعة "ديفون" (Devon) في جنوب غرب

في جهة الشمال إلى جزيرة رسلاندة ثلثا مجرى وبين طرف جزيرة رسلاندة وطرف جزيرة إرلاندة الكبيرة مجرى وكذلك من طرف جزيرة رسلاندة في جهة الشرق إلى جزيرة نرباغة...<sup>64</sup>.

ويبدو أن وصف الإدريسي المختصر هنا يعكس فقر مصادره عن إيرلندا، واسكتلندا، رغم إشارته الصريحة إلى أحد أهم مصادره، والمتمثل في إحدى مؤلفات المسعودي "كتاب العجائب"، والذي يشير على الأرجح إلى كتابه الموسوعي المفقود "أخبار الزمان ومن أباده الحمدان، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران"<sup>65</sup>، إلا أن معلوماته بدت مضطربة فلا هو ذكر أسماء المدن الإيرلندية الثلاث كما أسلفنا، ولا هو ذكر لنا أطراف النزاع السياسي الذي وقع في إيرلندا وأدى إلى حركة نزوح إلى البر الكبير على الأرجح، ولا حتى زمن وقوعه، ويبدو أن سبب ذلك شح معلومات المسعودي نفسه.

ومن كل ما سبق، يتضح من هذا السرد الجغرافي التفصيلي أن الإدريسي عكس وعياً جغرافياً متقدماً بالجزر البريطانية لم يسبقه إليه أحد من المؤلفين المسلمين السابق ذكرهم، حيث لا نجد ذكراً لمعظم المواضع التي أشار إليها الإدريسي في كتاباتهم. فقد فصل في ذكر مدن إنجلترا كثيراً. بل نجد أنه أبدى حرصاً بالغاً على ذكر المسافات بين تلك البلدات والمدن بالأميال، وتحديد الجهات الواقعة فيها، وأهم تضاريسها الجغرافية من أنهار، وجبال، ووديان ونحوها. لكن اسكتلندا وإيرلندا لم تحظى بنفس التفاصيل التي حظيت بها إنجلترا ويبدو أن سبب ذلك يعود إلى شح مصادره.

بالإضافة إلى ذلك، فقد اتضح أن استيعاب الإدريسي للأحوال الاقتصادية، والسياسية، والدينية لبريطانيا لم يضاها معرفته الجغرافية، إذ بدا وصفه لتلك الجوانب مضطرباً بوضوح، ومختصراً للغاية، إن لم يكن معدوماً في مواضع كثيرة، فنجدته يشير إلى بعض الصراعات السياسية دون أن يسمي الأطراف، والأنشطة الاقتصادية دون أن يفصل في البضائع والأسعار والعملات ونحوها. بل لم نجد اسم حاكم أو كيان سياسي من تلك الممالك التي قامت على الأراضي البريطانية. لكن ما يورده من تفاصيل حوت أسماء مدن، وبلدات، ومواقع ترد لأول مرة عند مؤلف مسلم يؤكد بلا شك اعتماد الإدريسي على مصادر أخرى متنوعة، بعضها شفهي والآخر مكتوب، والأرجح أن كثيراً من مصادره الشفهية زارت الجزر البريطانية لأغراض تجارية في غالب الأحيان.

لكن سؤالاً جوهرياً يطرح هنا حول سبب اهتمام الإدريسي بوصف الجزر البريطانية وإنجلترا تحديداً. الإجابة الأرجح تتمثل في سببين رئيسيين، أولهما يتمثل في مصادر الإدريسي نفسه، إذ يبدو أنه استفاد من وجوده في البلاط النورماني، حيث يفد الكثير من التجار والرحالة الأوروبيين<sup>66</sup>، فضلاً عن رجال الدولة في بلاط الملك "روجر الثاني"، فالجزر البريطانية ليست بغريبة عليهم ومعرفتهم بها قديمة تتصل بأسلافهم الذين وصلوا إليها وحكموا أجزاءً منها منذ أن غزاها "وليم الأول" (William I) الذي تسميه المصادر الأوروبية بـ "وليم

(لينكولن: Lincoln) في البر مائة ميل والنهر يشق وسطها وينصب منها إلى مدينة أغريمس فيصب بجنوبها في البحر كما ذكرناه. ومن نقولس البرية إلى مدينة أفرويوك أيضاً تسعون ميلاً ثم إلى مدينة دونالمه (درم: Durham) ثمانون ميلاً شمالاً على بعد من البحر. ومن طرف جزيرة سفوسية الحالية إلى طرف جزيرة إرلاندة مجريان في جهة الغرب"<sup>59</sup>.

يعكس هذا النص وعياً متقدماً، ومعرفة دقيقة بأهم مدن وبلدات الداخل الإنجليزي زمن الإدريسي والتي لا تزال قائمة إلى اليوم. بل تجاوز ذلك إلى الاجتهاد في تحديد المسافات بين معظم تلك المدن، فضلاً عن وصف أهم وأشهر أنهار بريطانيا حتى يومنا هذا، وهو نهر التايمز الذي يقسم العاصمة البريطانية لندن إلى شطرين. وعلى الرغم من أن هذا النص يزخر بذكر العديد من المدن والبلدات كما سبق ذكره، إلا أنه لم يتضمن الإشارة إلى مدن بريطانية شهيرة وكبرى اليوم مثل "مانشستر" (Manchester)، و"بيرمنجهام" (Birmingham)، و"نوتنجهام" (Nottingham)، و"شفيلد" (Sheffield)، و"ليستر" (Leicester). وباستثناء مدينة "ليستر" التي تعد من أقدم المدن الإنجليزية، فالأرجح أن تاريخ بعض هذه المدن الحديث نسبياً كان السبب في عدم ورودها في نص الإدريسي، ذلك أن بعضها كانت لا تزال في ذلك الوقت مجرد قلاع، أو أسواق، أو قرى صغيرة تحت حكم النبلاء الانجليز<sup>60</sup>.

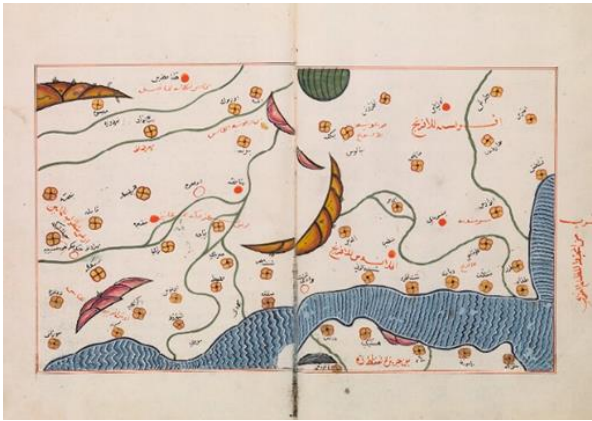
ومن إنجلترا ينتقل الإدريسي إلى شمال الجزر البريطانية حيث أشار إلى إيرلندا باسم "جزيرة إرلاندة الكبيرة"، ومملكة اسكتلندا (Scotland) في القرن الثاني عشر الميلادي باسم "إسكوسية" (Scotia)، وشمالها باسم "رسلاندة" والتي شكلت بحسب رأي "بيستون" و"ستيفنسون" (Stevenson) كياناً مستقلاً يمتد بين شمال غرب اسكتلندا والمجرى المائي المعروف بـ "غريت غلين" (The Great Glen) الواقع في أقصى شمال بريطانيا أو ما يعرف اليوم بـ "المرتفعات الاسكتلندية" (The Highlands of Scotland)، ثم جزر "نرباغة" التي رجع "بيستون" من وصف موقعها الجغرافي أنها جزر "أوركي"<sup>61</sup>.

وعلى خلاف سرده التفصيلي لجغرافيا إنجلترا، بدا وصف الإدريسي لإيرلندا موجزاً، ومضطرباً في نفس الوقت، وهو ما يتبين في قوله: "... وجزيرة إرلاندة كبيرة جدا بين طرفها الأعلى وبرطانية ثلاث مدائن وبها قوم يسكنونها وكانت المراكب تجتاز بها وتحط عليها وتشتري منها العنبر والحجارة الملونة فوقت بين أهلها شرور وطلب بعضهم أن يملك عليهم وحارجم بأهله فحاربوه فوقت العداوة لذلك بينهم فتفانوا وانتقل بعضهم إلى عدوة البحر من الأرض الكبيرة فخربت مدائنهم ولم يبق أحد منهم"<sup>62</sup>.

يبين هذا النص تصوراً جيداً وصل إليه الإدريسي، إذا بدا مستوعباً أن إيرلندا جزيرة مستقلة عن بريطانيا العظمى، إلا أنه لم يذكر بصراحة أهم مدنها، بل انتقل مباشرة إلى سرد أهم الجزر البريطانية الأخرى، فمن: "طرف جزيرة إنقلطرة إلى جزيرة دنس (سييلي: Scilly) مجرى"<sup>63</sup>. ومن طرف إسكوسية

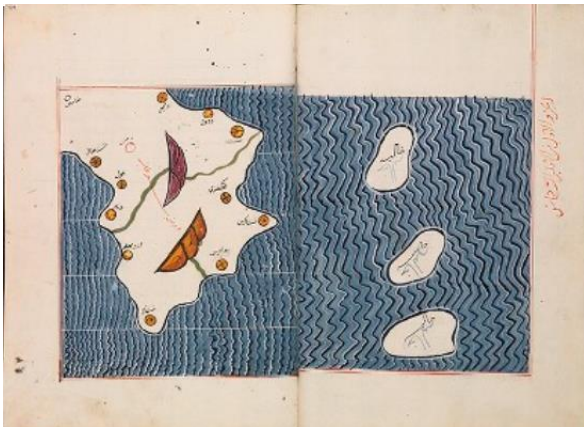
إلى التساؤل عن أثر ذلك على المجال المعرفي الإسلامي تجاه بريطانيا، خاصة إذا ما علمنا أن الإنجليز ساهموا في الحملات الصليبية على المشرق العربي ووصلوا إلى بلاد الشام، فضلاً عما يروى حول اتصالاتهم المباشرة بالممالك النصرانية الإسبانية في الأندلس<sup>68</sup>. كل ذلك يدعو لدراسة ما دُون في مصادر التراث الإسلامي المتأخرة بداية من عصر الحروب الصليبية حتى أواخر الوجود الإسلامي في الأندلس الذي شهد انطلاقة ما سمي بحركة الاكتشافات الجغرافية.

### ملحق الخرائط



1: خريطة الإدريسي لشرق إنجلترا، وجزء من شمال فرنسا وألمانيا (مقتنيات مكتبة بودليان - أكسفورد: Fol. 281b-282a)

<https://digital.bodleian.ox.ac.uk/objects/ced0d8bd-1019-4af2-9086-e411115f1507/surfaces/18f7b2e7-2d79-4d17-82c7-b0a4c27f9fc9/> (access in 18-11-2022)



2: خريطة إنجلترا حتى حدودها الشمالية التي رسمها الإدريسي (مقتنيات مكتبة بودليان - أكسفورد: fol. 278b-279a)

<https://digital.bodleian.ox.ac.uk/objects/ced0d8bd-1019-4af2-9086-e411115f1507/surfaces/bfd09991-7be7-4ccf-8c41-63164ff5fd21/> (access in 18-11-2022)

الفتاح" (William the Conqueror) واستولى على الحكم فيها سنة 1066م<sup>67</sup>. أما السبب الثاني فيما يكون مرده رغبة الملك النورماندي "روجر الثاني" الذي حرص على ما يبدو على استثمار قدرات الإدريسي المعرفية لتكوين ما يشبه قاعدة بيانات جغرافية لجواره الأوروبي ومن ضمنها الجزر البريطانية.

### الخاتمة

تناولت هذه الدراسة التصور المبكر لمصادر التراث الإسلامي عن بريطانيا منذ بدء حركة التدوين عن المسلمين حتى عصر الجغرافي الشهير الإدريسي الذي شهد كتابة أول مبحث مستقل عن الجزر البريطانية في زمنه. حيث اتضح أن تطوّر صورة الجزر البريطانية في مصادر التراث الإسلامي المبكر كان جزءاً من سياق عنايتها بالقارة الأوروبية والذي كانت له أسبابه التي صاغت بداياته، وعوامل فاعلة ساهمت في تطوره المعرفي بمرور الزمن. لذلك وجّهت الدراسة عنايتها لمبحث تلك الأسباب والعوامل ومدى تأثيرها على تطور الوعي الإسلامي بماهية بريطانيا خلال زمن الدراسة.

وقد تبين أن مصطلح "بريطانيا" وكل ما يتصل بها (إنجلترا - الانجلىز - اسكتلندا وغيرها) ظل منسياً في مصادر التراث الإسلامي على اختلاف اهتماماتها حتى الربع الأول من القرن الثالث الهجري حينما وردت أقدم إشارة مباشرة إلى "بريطانيا" عند الخوارزمي. بل إن الاهتمام بالجزر البريطانية ظل مقتصرًا في الغالب على ما دونه كثير من الجغرافيين والرحالة المسلمين طيلة المرحلة الزمنية للدراسة. وقد بدا أن عناية المؤلفين المسلمين بمسائل جغرافية رئيسية مثل خطوط الطول، ودوائر العرض، وأهم البلدان المعمورة، والمدن، والموانئ، والجزر والمسطحات المائية أهم الأسباب المبكرة لصياغة ذلك الاهتمام بدليل أن نصوص ابن خردادبة، وابن رسته المبكرة عن بريطانيا جاءت في معرض حديثهما عن أهم البلدان المطلة على المحيط الأطلسي. والملاحظ أن هذا السبب ظل ماثلاً فيمن جاء بعدهما من جغرافيين مسلمين مثل ابن البتاني، والهمداني، والمسعودي، وابن الفقيه الهمداني، وصولاً إلى أبي عبيد الله البكري الأندلسي. والنتيجة التي لا يمكن تجاهلها هنا تتمثل في أن تراث بطليموس ظل المصدر الرئيس لهؤلاء الجغرافيين المسلمين، فضلاً عن مصادر ثانوية فقدت نصوصها الأصلية مثل "رحلة هارون بن يحيى"، وكتاب "أخبار الزمان" للمسعودي. وهو ما يفسر استنتاجاً آخر لوحظ على مجال المعرفة التاريخية عند المؤلفين المسلمين مقارنة بنظيرتها الجغرافية، حيث ظلت في طابعها العام محدودة ولم تحز تطوراً نوعياً طيلة زمن الدراسة مثل ذلك الذي تحقق على يد الإدريسي كما أسلفنا. ربما يكون سبب ذلك أن تاريخ الجزر البريطانية بقي مجهولاً عند المؤلفين المسلمين مقارنة بتاريخ أمم أوروبية أخرى مثل اليونان، والرومان، والفرنجية.

لكن مرحلة الحروب الصليبية في المشرق الإسلامي (بلاد الشام ومصر) والأندلس وما أدت إليه من زيادة الاتصال الفكري بين الإسلام وأوروبا يدعو



الأول، ص 191-191. العظمة، عزيز العظمة، العرب والبرابرة المسلمون والحضارات الأخرى، (رياض الريس للكتاب والنشر، ط1، 1991م)، ص 42.

<sup>2</sup> Britannica, The Editors of Encyclopaedia. "British Isles". *Encyclopedia Britannica*, 23 Oct. 2022, <https://www.britannica.com/place/British-Isles>. Accessed 07 December 2022.

<sup>3</sup> ابن رسته، أحمد بن عمر، كتاب الأعراف النفيسة، (ليدن، بريل، 1893م)، ص 130.

<sup>4</sup> Britannica, "Heptarchy", *Encyclopedia Britannica*, 25 Aug. 2022, <https://www.britannica.com/topic/Heptarchy>. Accessed 07 December 2022.

<sup>5</sup> Green, Caitlin, *Britain, the Byzantine Empire, and the concept of an Anglo-Saxon 'Heptarchy': Harun ibn Yahya's ninth-century Arabic description of Britain*. Online, <https://www.caitlingreen.org/2016/04/heptarchy-harun-ibn-yahya.html>

<sup>6</sup> Dunlop, Douglas M. "The British Isles according to medieval Arabic authors", *The Islamic Quarterly* 4 (1957): pp. 11-28.

<sup>7</sup> الخوارزمي، محمد بن موسى، كتاب صورة الأرض من المدن والجبال والبحار والجزائر والأنهار، اعتنى بنسخه وتصحيحه: هانس فون ميزك، (فيينا، مطبعة أدولف هولز هوزن، 1345هـ/1926م)، ص 34-35.

<sup>8</sup> Lewis, Bernard. "The Muslim Discovery of Europe", *Bulletin of the School of Oriental and African Studies* 20.1 (1957): 409-416, p. 410.

<sup>9</sup> ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص 155.

<sup>10</sup> Lewis, The Muslim Discovery, p. 410.

<sup>11</sup> Hermes, Nizar, *The [European] Other in Medieval Arabic Literature and Culture: Ninth-Twelfth Century AD*, (Springer, 2012), p. 78.

<sup>12</sup> König, Daniel G., *Arabic-Islamic Views of the Latin West, Tracing the Emergence of Medieval Europe*, (Oxford, Oxford University Press, 2015), p. 277.

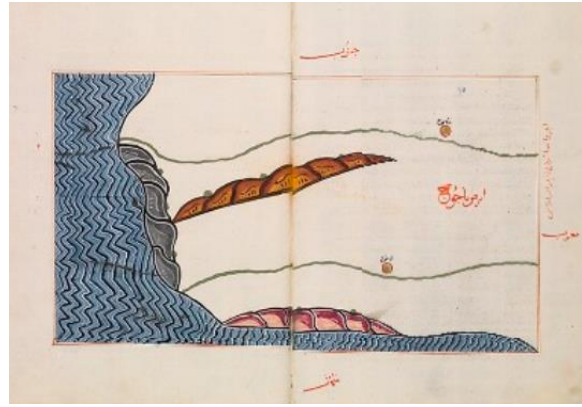
<sup>13</sup> Britannica, "Offa", *Encyclopedia Britannica*, 27 Jun. 2022, <https://www.britannica.com/biography/Offa-Anglo-Saxon-king>. Accessed 07 December 2022.

<sup>14</sup> للمزيد عن هذه الملك والجدل حول الدينار الذي أمر بسكه انظر: الكنايني، مصطفى حسن، عصر أوفيا ملك إنجلترا الأنجلوساكسوني، 757 - 796م، (الإسكندرية، منشأة المعارف، د.ت)، ص 105-130.

<sup>15</sup> انظر على سبيل المثال لا الحصر: الواقدي، محمد بن عمر بن واقد، فتوح الشام، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ / 1997م)، ج1، ص141، 150، 190، 205 - 207. ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، التيجان في ملوك حمير، (صنعاء، مركز الدراسات والأبحاث اليمني، ط1، 1347هـ)، ص 55، 99، 144، 320. ابن خياط، خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، (دمشق - بيروت، دار القلم - مؤسسة الرسالة، ط2، 1397هـ)، ص 315، 349. اليعقوبي، أحمد بن واضح اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، (ليدن، بريل، 1883م)، ج1، ص 177. المسعودي، علي بن الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر، (بيروت، المكتبة العصرية، ط1، 1425هـ/2005م)، ج1، ص 174، 182، 266، 286.

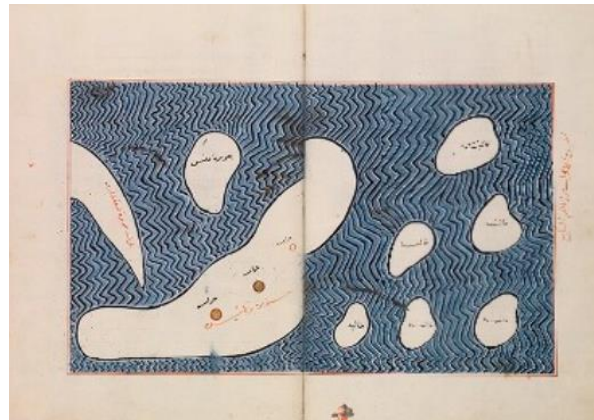
<sup>16</sup> الخوارزمي، صورة الأرض، ص 69.

<sup>17</sup> يؤكد يوسف الغنيم أن كتاب عجائب الأقاليم: "... يماثل في منهجه وفي جزء كبير من مادته العلمية كتاب صورة الأرض ل محمد بن موسى الخوارزمي ... حتى



3: شمال وغرب إنجلترا (مقتنيات مكتبة بودليان - أكسفورد: fol. 310b-311a)

<https://digital.bodleian.ox.ac.uk/objects/ced0d8bd-1019-4af2-9086-e411115f1507/surfaces/17c19570-6d08-40b0-b026-bb16ad77305b/> (access in 18-11-2022)



4: خريطة الإدريسي لجزيرة أيرلندا (مقتنيات مكتبة بودليان - أكسفورد: fol. 308b-309a)

<https://digital.bodleian.ox.ac.uk/objects/ced0d8bd-1019-4af2-9086-e411115f1507/surfaces/636369c4-8e8b-4ace-8b99-c44643cb5975/> (access in 18-11-2022)

## الحواشي والتعليقات

\* يتقدم الباحث بخالص الشكر والتقدير لجامعة نجران ممثلة في عمادة البحث العلمي على دعمها هذا البحث في جميع مراحل كتابته حتى إتمامه ضمن المشروع البحثي رقم: NU/RG/SEHRC/12/5.

<sup>1</sup> مثل رحلة مسلم الجرمي إلى بلاد الروم، ورحلة ابن فضلان إلى بلاد البلغار والروس، ورحلة هارون بن يحيى السوري إلى القسطنطينية وروما، ورحلة إبراهيم بن يعقوب الإسرائيلي الطروشني إلى أوروبا الغربية والتي وصلت إلى ألمانيا والتشيك. انظر: ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، المسالك والممالك، (ليدن، بريل، 1889م)، ص 105. ابن فضلان، أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد، رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصقالية، (أبو ظبي، دار السويدي، ط1، 2003م). المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين، التنبيه والإشراف، تحقيق: عبد الله إسماعيل الصاوي، (القاهرة، دار الصاوي، 1357هـ/1938م)، ص 162. كراتشكوفسكي، إغناطيوس بوليانوفتش، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، (القاهرة، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، د.ت)، القسم

- <sup>36</sup> ابن فضلان، رحلة ابن فضلان، ص 96. ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل، *صورة الأرض*، (لندن، بريل، 1938م)، ج1، ص 15. مجهول، *حدود العالم من المشرق إلى المغرب*، حققه وترجمه عن الفارسية: السيد يوسف الهادي، (القاهرة، الدار الثقافية للنشر، 1423 هـ)، ص 187. القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، *آثار البلاد وأخبار العباد*، (بيروت، دار صادر، د.ت)، ص 498.
- <sup>37</sup> Mayr-Harting, *Henry The Coming of Christianity to Anglo-Saxon England*, (Pennsylvania State University Press, 1991), p. 50.
- <sup>38</sup> المسعودي، التنبيه والإشراف، ص 59. مجهول، *حدود العالم*، ص 38.
- <sup>39</sup> مجهول، *حدود العالم*، ص 186.
- <sup>40</sup> ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني، *كتاب البلدان*، تحقيق: يوسف الهادي، (بيروت، عالم الكتب، ط1، 1416 هـ / 1996م)، ص 432.
- <sup>41</sup> البكري، *المسالك والممالك*، ج1، ص 130، 149.
- <sup>42</sup> المصدر نفسه، ج2، ص 58.
- <sup>43</sup> نفسه، ج2، ص 400.
- <sup>44</sup> نفسه، ج2، ص 294.
- <sup>45</sup> هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن إدريس بن يحيى الحسيني الهاشمي ينتهي نسبه إلى إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. أديب وشاعر وجغرافي ولد في سبته عام 493 هـ / 1100م تقريباً، ونشأ بها قبل أن ينتقل إلى قرطبة حيث عاش فيها مطلع شبابه وتلقى تعليمه هناك. بعد ذلك ارتحل على عدة بقاع حتى استقر في صقلية وألف كتابه الشهير وبقي بها حتى وفاته سنة 560 هـ / 1165م. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله، *الوافي بالوفيات*، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، (بيروت، دار إحياء التراث، 1420 هـ / 2000م)، ج 1، ص 138. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، *الأعلام*، (بيروت، دار العلم للملايين، ط15، 2002م)، ج7، ص 24.
- <sup>46</sup> كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي، القسم الأول، ص 285.
- <sup>47</sup> مؤنس، حسين مؤنس، *تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس*، (القاهرة، مكتبة مدبولي، ط2، 1986م)، ص 240.
- <sup>48</sup> الادريسي، *نزهة المشتاق*، ج2، ص 855.
- <sup>49</sup> Beeston, Alfred Felix L. "Idrisi's account of the British Isles", *Bulletin of the School of Oriental and African Studies*, 13.2 (1950): 265-281.
- <sup>50</sup> Britannica, "Brittany", Encyclopedia Britannica, 19 Sep. 2017, <https://www.britannica.com/place/Brittany-region-France>. Accessed 07 December 2022.
- <sup>51</sup> *نزهة المشتاق*، ج2، ص 948.
- <sup>52</sup> المصدر نفسه، ج2، ص 944.
- <sup>53</sup> Beeston, Idrisi's account, p. 273.
- <sup>54</sup> *نزهة المشتاق*، ج2، ص 869.
- <sup>55</sup> المصدر نفسه، ج2، ص 944.
- <sup>56</sup> Beeston, Idrisi's account, p. 274.
- <sup>57</sup> *نزهة المشتاق*، ج2، ص 945.
- <sup>58</sup> Anonymous, *Domesday Book; Open Domesday*, (online), <https://opendomesday.org/place/TQ3105/brighton/>, Accessed 07 December 2022.

- شك بعض الباحثين في كونه مسودة أخرى من كتاب الخوارزمي". انظر: الغنيم، عبد الله يوسف، *المخطوطات الجغرافية العربية في المكتبة البريطانية ومكتبة جامعة كامبردج*، (الكويت، مكتبة الأمل، 1420 هـ / 1999م)، ص 28.
- <sup>18</sup> شهراب، *كتاب عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة*، اعتنى بنسخه وتصحيحه: هانس فون مزنيك، (فيينا، مطبعة أدولف هولز هوزن، 1347 هـ / 1929م)، ص 46.
- <sup>19</sup> ابن خرداذبة، *المسالك والممالك*، ص 231.
- <sup>20</sup> König, *Arabic-Islamic Views*, p. 277.
- <sup>21</sup> Green, Britain, online.
- <sup>22</sup> ابن رسته، *الأعلاق النفيسة*، ص 85.
- <sup>23</sup> البتاني، محمد بن جابر بن سنان، *كتاب الزيج الصابغ*، تحقيق: كرلو نالينو، (روما، 1899م)، ص 25.
- <sup>24</sup> المصدر نفسه، ص 26.
- <sup>25</sup> انظر: ابن رسته، *الأعلاق النفيسة*، ص 85. وقارنه مع ابن البتاني، *الزيج الصابغ*، ص 26.
- <sup>26</sup> ابن البتاني، *المصدر نفسه*، ص 7، 13، 22.
- <sup>27</sup> يرى "تومر" (Toomer) مترجم وشارح الترجمة الإنجليزية من كتاب "المجسطي" (Almagest) أن بطليموس يشير بطريقة غير مباشرة إلى جزيرة "شيتلاندا" (Shetland) الأيسلندية على أنها جزيرة "ثولي" حينما وضعها على دائرة العرض 20 درجة. انظر:
- Ptolemy, Claudius, *Almagest*, Transl. & Annot. G. J. Toomer, (London, Duckworth, 1984), p. 89, n. 66.
- <sup>28</sup> Ptolemy, Claudius, *The Geography*, Transl. & ed. E.L. Stevenson, (Dover Publications INC, New York, 1991), pp. 29, 40-42, 44-45, 79, 145, 160-162.
- <sup>29</sup> De Camp, L. Sprague, *Lost Continents: The Atlantis Theme in History, Science, and Literature*, (New York: Dover, 1970), p. 57.
- <sup>30</sup> Fotheringham, W.H.m "On the Thule of the Ancients", *Proceedings of the Society of Antiquaries of Scotland*, (1862), pp. 491-503. Burton, Richard F., *Ultima Thule: Or, A Summer in Iceland*, (London, Edinburgh: W.P. Nimmo, 1875), pp. 11-34.
- <sup>31</sup> الهمداني، الحسن بن أحمد، *صفة جزيرة العرب*، تحقيق: محمد بن علي الأكوخ، (سنعاء، دار الإرشاد، ط1، 1410 هـ / 1990م)، ص 57-59.
- <sup>32</sup> *صفة جزيرة العرب*، ص 58.
- <sup>33</sup> ورد مصطلح "بريطانيا العظمى" عند الهمداني والبكري والإدريسي كمصطلح جغرافي لتمييز جزيرة بريطانيا العظمى التي تضم إنجلترا واسكتلندا وويلز عن بقية الجزر البريطانية الأصغر مساحة، كما أن الهمداني استخدم "بريطانيا الصغرى" تحديداً للإشارة إلى إيرلندا على الأرجح. انظر: الهمداني، *صفة جزيرة العرب*، ص 57-59.
- <sup>59</sup> البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، *المسالك والممالك*، تحقيق: جمال طلبة، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1424 هـ / 2003م)، ج1، ص 203.
- الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس، *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*، (بيروت، عالم الكتب، ط1، 1409 هـ)، ج2، ص 869.
- <sup>34</sup> المصدر نفسه، ص 70.
- <sup>35</sup> انظر الصفحات:
- Ptolemy, *Almagest*, pp. 87- 88, 103

## المصادر والمراجع العربية

## أولاً: المصادر

- الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس (توفي 560هـ / 1165م)، *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*، بيروت، عالم الكتب، ط1، 1409هـ.
- ابن البتاني، محمد بن جابر بن سنان الحزاني (توفي 317هـ / 929م)، كتاب *الزيج الصابغ*، تحقيق: كرلو نابونو، روما، 1899م.
- البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري (توفي 487هـ / 1094م)، *المسالك والممالك*، تحقيق: جمال طلبة، بيروت، دار الكتب العلمية، 1424هـ / 2003م.
- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل النصبلي، (توفي بعد 367هـ / 977م)، *صورة الأرض*، لندن، بريل، 1938م.
- ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (توفي نحو 280هـ / 893م)، *المسالك والممالك*، لندن، بريل، 1889م.
- ابن الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد الشهير بلسان الدين بن الخطيب (توفي 776هـ / 1374م)، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ.
- الخوارزمي، محمد بن موسى (توفي بعد 232هـ / 847م)، كتاب *صورة الأرض من المدن والجبال والبحار والجزائر والأنهار*، اعتنى بنسخه وتصحيحه: هانس فون ميزيك، فيينا، مطبعة أدولف هولز هوزن، 1345هـ / 1926م.
- ابن خياط، خليفة بن خياط (توفي 240هـ / 855م)، *تاريخ خليفة بن خياط*، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دمشق - بيروت، دار القلم - مؤسسة الرسالة، ط2، 1397هـ.
- ابن رسته، أحمد بن عمر (توفي حوالي 300هـ / 913م)، كتاب *الأعلاق النفيسة*، لندن، بريل، 1893م.
- سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف المشهور بسبط ابن الجوزي (654هـ / 1256م)، *مرآة الزمان في تواريخ الأعيان*، (الجزء الثاني والعشرون) تحقيق: إبراهيم الزبيق، دمشق، دار الرسالة العالمية، ط1، 1434هـ / 2013م.
- شهراب (توفي في القرن 4هـ / 10هـ)، كتاب *عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة*، اعتنى بنسخه وتصحيحه: هانس فون ميزيك، فيينا، مطبعة أدولف هولز هوزن، 1347هـ / 1929م.
- أبو شامة، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي (توفي 665هـ / 1276م)، *الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية*، تحقيق: إبراهيم الزبيق، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1418هـ / 1997م.
- ابن شداد، بماء الدين يوسف بن رافع (توفي 632هـ)، *النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية المعروف بسيرة صلاح الدين الأيوبي*، تحقيق: الدكتور جمال الدين الشيبان، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط1، 1415هـ / 1994م.

59 نزهة المشتاق، ج2، ص 946.

60 انظر ما دُون في كتاب "ونشستر" أو "يوم الحساب" (Domesday Book)، وهو أقدم معجم جغرافي عن الأراضي الإنجليزية أُلّف في عهد الملك "وليم الأول" (William I) عام 1086م، وكذلك "دائرة المعارف البريطانية" (Encyclopædia Britannica) عن تاريخ هذه المدن: *Domesday Book* (online), <https://opendomesday.org/place/SJ8398/manchester/> <https://opendomesday.org/place/SP0786/birmingham/> <https://opendomesday.org/place/SK5739/nottingham/> Accessed 07 December 2022.

Rodgers, H.B.. "Manchester". *Encyclopedia Britannica*, 5 Jan. 2023, <https://www.britannica.com/place/Manchester-England>. Accessed 25 February 2022. Britannica, Britannica, "Birmingham", *Encyclopedia Britannica*, 29 Nov. 2022, <https://www.britannica.com/place/Birmingham-England>. Accessed 07 December 2022.

Britannica, "Nottingham". *Encyclopedia Britannica*, 12 Jan. 2023, <https://www.britannica.com/place/Nottingham>. Accessed 07 December 2022.

61 Beeston, Idrisi's account, p. 278.

62 نزهة المشتاق، ج2، ص 948.

63 هكذا كان استنتاج بيستون وجزر "سيلي" تبعد قرابة 4م كلم عن الركن الجنوبي الغربي لبريطانيا العظمى.

Beeston, Idrisi's account, p. 277.

64 نزهة المشتاق، ج2، ص 948.

65 والمشهور أنه لم يبق من كتاب "أخبار الزمان" إلا مجلد واحد. نزهة المشتاق، ج2، ص 947-948.

66 Tolan, John, Henry Laurens, and Gilles Veinstein, *Europe and the Islamic World: A History*, transl. Jane Marie Todd, (Princeton University Press, 2012), p. 18

67 Barlow, Frank. "William I". *Encyclopedia Britannica*, 19 Jan. 2023, <https://www.britannica.com/biography/William-I-king-of-England>. Accessed 07 December 2022.

68 انظر بعض ما دونه بعض المؤرخين المسلمين في الشام في عصر الحروب الصليبية عن ملك إنجلترا "ريتشارد الأول" الذي لقبته بملك "الانكتار"، أو ما كتبه ابن الخطيب الاندلسي عن تدخل ملك إنجلترا (صاحب الأتكية) "إدوارد الثالث" (Edward III) في الحرب الأهلية بقشتالة. ابن شداد، بماء الدين يوسف بن رافع، *النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية المعروف بسيرة صلاح الدين الأيوبي*، تحقيق: الدكتور جمال الدين الشيبان، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط1، 1415هـ / 1994م، ص 238-274. سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف، *مرآة الزمان في تواريخ الأعيان*، تحقيق: إبراهيم الزبيق، دمشق، دار الرسالة العالمية، ط1، 1434هـ / 2013م، ج 22، ص 6-12. أبو شامة، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي، *الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية*، تحقيق: إبراهيم الزبيق، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1418هـ / 1997م، ج 4، ص 310، 329. ابن الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني، *الإحاطة في أخبار غرناطة*، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ، ج 2، ص 21-23.

الكناني، مصطفى حسن، عصر أوفاء ملك إنجلترا الأنجلوساكسوني، 757 - 796م، الإسكندرية، منشأة المعارف، د.ت.  
مؤنس، حسين مؤنس (توفي 1416هـ / 1996م)، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط2، 1986م.

## Bibliography

al-knānī, mṣṭfi ḥsn, 'ṣr aūfā mlk inġltrā al-'anglūsāksūnī, 757 - 796, al-iskndrī, mns' a' al-m'ārf, d.t.

'abū shāmī, abū al-qāsm šhāb al-dīn 'bd al-rḥmn bn ismā'īl al-dmšqī (tūfi 665H./ 1276), al-rūdītīn fī aḥbār al-dūltīn al-nūrī walslāhī, ṥqīq: ib-rāhīm al-zībq, bīrūt, mu'ssī al-rsalī, 1, 1418H./ 1997.

al-bkrī, abū 'bīd 'bd al-lh bn 'bd al-'zīz al-bkrī (tūfi 487h./ 1094m), al-msalk walmmalk, ṥqīq: ġmal ṥlbī, bīrūt, dār al-ktb al-'lmī, 1424H./ 2003.

al-ġnīm, 'bd al-lh īūsf, al-mḥtūṥāt al-ġġrāfī al-'rbī fī al-mktbī al-brīṥānī ūmktbī ġām'ī kāmbrdġ, al-kwyt, mktbī al-'aml, 1420H./ 1999.

al-hmdānī, abū mḥmd al-ḥsn bn aḥmd bn ī'qūb (tūfi 334h./ 946m), ṣfī ġzīrī al-'rb, ṥqīq: mḥmd bn 'lī al-'akū', ṣn'ā', dār al-iršād, 1, 1410H./ 1990.

al-idrīsī, mḥmd bn mḥmd bn 'bd al-lh bn idrīs (tūfi 560h./ 1165m), nzḥī al-mšṥāq fī aḥtrāq al-'āfāq, bīrūt, 'alm al-ktb, 1, 1409H.

al-khwārmī, mḥmd bn mūsī (tūfi b'd 2232H./ 847), ktāb ṣūrī al-'arḍ mn al-mdn walġbal walbhār walġzā'ir wal'anhār, a'tnī bnsḥḥ ūṥḥīḥ: hāns fūn mzīk, fīnā, mṥb'ī adūlf hūlz hūzn, 1345H./ 1926.

al-ms'ūdī, abū al-ḥsn 'lī bn al-ḥsīn (tūfi 346h./ 957m), al-tnbīh walīrāf, ṥqīq: 'bd al-lh ismā'īl al-šāwy, al-qāhrī, dār al-šāwy, 1357H./ 1938.

al-ms'ūdī, abū al-ḥsn 'lī bn al-ḥsn, mrūġ al-ḍhb ūm'ādn al-ġūhr, bīrūt, al-mktbī al-'ṣrī, 1, 1425H./ 2005.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (توفي 764هـ / 1363م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث، 1420هـ / 2000م.

ابن فضلان، أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد (توفي بعد 310هـ / 922م)، رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصقالبة، أبو ظبي، دار السويدي، ط1، 2003م.

ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن الفقيه الهمداني (ت 365هـ / 976م)، كتاب البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، بيروت، عالم الكتب، ط1، 1416هـ / 1996م.

القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (توفي 682هـ / 1283م)، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر، د.ت.

مجهول، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، حققه وترجمه عن الفارسية: السيد يوسف الهادي، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، 1423هـ.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (توفي 346هـ / 957م)، التنبيه والإشراف، تحقيق: عبد الله إسماعيل الصاوي، القاهرة، دار الصاوي، 1357هـ / 1938م.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر، بيروت، المكتبة العصرية، ط1، 1425هـ / 2005م.

ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (توفي 213هـ / 828م)، التيجان في ملوك حمير، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط1، 1347هـ.

الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب (توفي 334هـ / 946م)، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوغ، صنعاء، دار الإرشاد، ط1، 1410هـ / 1990م.

الواقدي، محمد بن عمر بن واقد (توفي 207هـ / 823م)، فتوح الشام، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ / 1997م.

اليعقوبي، أحمد بن واضح بن يعقوب (توفي بعد 292هـ / 905م)، تاريخ اليعقوبي، لندن، بريل، 1883م.

## ثانياً: المراجع العربية والمعربة

الزركلي، خير الدين بن محمود (توفي 1396هـ / 1976م)، الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط15، 2002م.

العظمة، عزيز العظمة، العرب والبرابرة المسلمون والحضارات الأخرى، رياض الريس للكتب والنشر، ط1، 1991م.

الغنيم، عبد الله يوسف، المخطوطات الجغرافية العربية في المكتبة البريطانية ومكتبة جامعة كامبردج، الكويت، مكتبة الأمل، 1420هـ / 1999م.

كراتشكوفسكي، إغناطيوس يوليانوفتش (توفي 1370هـ / 1951م)، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، القاهرة، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، د.ت.



ibn khīāt, ḥlīfī bn ḥīāt (tūfi 240h./ 855m), tāriḥ ḥlīfī bn ḥīāt, ḥqīq: akrm dīā' al-'mrī, dmsq - bīrūt, dār al-qīm- mu'ssī al-rsalī, ٢, 1397H.

ibn rusta, aḥmd bn 'mr (tūfi ḥwalī 300h./ 913m), ktāb al-'a'lāq al-nfīsī, līdn, brīl, 1893m.

ibn šdād, bhā' al-dīn iūsf bn rāf' (tūfi 632h.), al-nwādr al-sltānī walmḥāsn al-iūsfī al-m'rūf bsīrī šlāḥ al-dīn al-'aīūbī, ḥqīq: al-dktūr ḡmal al-dīn al-šīal, al-qāhrī, mktbī al-ḥāngī, ١, 1415h. /1994m.

krātškūfskī, iḡnāīūs iūlīānūftš (tūfi 1370H./ 1951), tāriḥ al-'adb al-ḡḡrāfī al-'rbī, trḡmī: šlāḥ al-dīn 'tmān hāšm, al-qāhrī, al-idārī al-tqāfī fī ḡām'ī al-dūl al-'rbī, d.t.

mḡhūl, ḥdūd al-'alm mn al-mšrq ili al-mḡrb, ḥqqh ūtrḡmh 'n al-fārsī: al-sīd iūsf al-hādī, al-qāhrī, al-dār al-tqāfī llšr, 1423 H.

mu'ns, ḥsīn mu'ns (tūfi 1416H./ 1996m), tāriḥ al-ḡḡrāfī walḡḡrāfyin fī al-'andls, al-qāhrī, mktbī mdbūlī, ٢, 1986.

sbṭ ibn al-ḡūzī, šms al-dīn abū al-mzfr iūsf al-mšhūr bsbṭ abn al-ḡūzī (654h./ 1256m), mr'āī al-zmān fī twāriḥ al-'a'īān, (alḡz' al-tānī wal'srūn) ḥqīq: ibrahīm al-zībq, dmsq, dār al-rsalī al-'almī, ١, 1434H. / 2013.

suhṛāb (tūfi fī al-qrn 4h./ 10h.), ktāb 'ḡā'ib al-'aqalīm al-sb'ī ili nhāī al-'mārī, a'tni bnsḥh ūtšḥḥ: hāns fūn mzīk, finā, mṭb'ī adūlf hūlz hūzn, 1347H/ 1929.

Digital Bodleian

<https://digital.bodleian.ox.ac.uk/>

Beeston, Alfred Felix L. "Idrisi's account of the British Isles", Bulletin of the School of Oriental and African Studies, 13.2 (1950).

Burton, Richard F., Ultima Thule: Or, A Summer in Iceland, (London, Edinburgh: W.P. Nimmo, 1875).

De Camp, L. Sprague, Lost Continents: The Atlantis Theme in History, Science, and Literature, (New York: Dover, 1970).

Domesday Book <https://opendomesday.org>

Dunlop, Douglas M. "The British Isles according to medieval Arabic authors", The Islamic Quarterly 4 (1957).

al-qzwynī, zkrīā bn mḥmd bn mḥmūd (tūfi 682H./ 1283), aṭār al-blād ū'aḥbār al-'bād, bīrūt, dār šādr, d.t.

al-šfdī, šlāḥ al-dīn ḥlīl bn aībk bn 'bd al-lh (tūfi 764H./ 1363), al-wāfī balūfīāt, ḥqīq: aḥmd al-'arnāu'ūt ūtrkī mšṭfī, bīrūt, dār ihīā' al-trāt, 1420H./ 2000.

al-wāqdī, mḥmd bn 'mr bn wāqd (tūfi 207h./ 823m), ftūḥ al-šām, bīrūt, dār al-ktb al-'lmī, ١, 1417H. / 1997.

al-y'qūbī, aḥmd bn wāḍḥ bn ī'qūb (tūfi b'd 292H./ 905), tāriḥ al-ī'qūbī, līdn, brīl, 1883.

al-'zmī, 'zīz al-'zmī, al-'rb walbrābrī al-mslmūn walḥdārāt al-'aḥri, rīāḍ al-rīs llktb walnšr, ١, 1991.

al-zrkī, ḥīr al-dīn bn mḥmūd (tūfi 1396h./ 1976m), al-'a'lām, bīrūt, dār al-'lm llmāyin, ١, 2002.

ibn al-btānī, mḥmd bn ḡābr bn snān al-ḥrwānī (tūfi 317h./ 929m), ktāb al-zīḡ al-šāb'ī, ḥqīq: krlū nalīnū, rūmā, 1899.

ibn al-fqīh, abū 'bd al-lh aḥmd bn mḥmd bn al-fqīh al-hmdānī (t 365H./ 976), ktāb al-bldān, ḥqīq: iūsf al-hādī, bīrūt, 'alm al-ktb, ١, 1416 H. / 1996.

ibn al-ḥṭīb, mḥmd bn 'bd al-lh bn s'īd al-šhīr blsān al-dīn bn al-ḥṭīb (tūfi 776h./ 1374m), al-ihāṭī fī aḥbār ḡrnāṭī, bīrūt, dār al-ktb al-'lmī, ١, 1424H.

ibn fdlān, aḥmd bn fdlān bn al-'bās bn rāsd (tūfi b'd 310H./ 922), rḥlī abn fdlān ili blād al-trk walrūs walšqalbī, abū zbī, dār al-swydī, ١, 2003.

ibn ḥrdādbī, abū al-qāsm 'bīd al-lh bn 'bd al-lh (tūfi nhū 280H. / 893), al-msalk walmmalk, līdn, brīl, 1889.

• ibn ḥšām, 'bd al-mlk bn ḥšām bn aīūb al-ḥmīrī (tūfi 213h./ 828m), al-tīḡān fī mulūk ḥimīar, šn'ā', mrkz al-drāsāt wal'abhāṭ al-īmnī, ١, 1347H.

ibn ḥūql, abū al-qāsm mḥmd bn ḥūql al-nšībī, (tūfi b'd 367h./ 977m), šūrī al-'arḍ, līdn, brīl, 1938m.



---

Europe, (Oxford, Oxford University Press, 2015).

Lewis, Bernard. "The Muslim Discovery of Europe", Bulletin of the School of Oriental and African Studies 20.1 (1957).

Mayr-Harting, Henry The Coming of Christianity to Anglo-Saxon England, (Pennsylvania State University Press, 1991).

Ptolemy, Claudius, Almagest, Transl. & Annot. G. J. Toomer, (London, Duckworth, 1984).

Ptolemy, Claudius, The Geography, Transl. & ed. EL. Stevenson, (Dover Publications INC, New York, 1991).

Tolan, John, Henry Laurens, and Gilles Veinstein, Europe and the Islamic World: A History, transl. Jane Marie Todd, (Princeton University Press, 2012).

---

Encyclopedia Britannica

<https://www.britannica.com>

Fotheringham, W.H.m "On the Thule of the Ancients", Proceedings of the Society of Antiquaries of Scotland, (1862).

Green, Caitlin, Britain, the Byzantine Empire, and the concept of an Anglo-Saxon 'Heptarchy':

Harun ibn Yahya's ninth-century Arabic description of Britain. Online,

<https://www.caitlingreen.org/2016/04/heptarchy-harun-ibn-yahya.html>

Hermes, Nizar, The [European] Other in Medieval Arabic Literature and Culture: Ninth-Twelfth Century AD, (Springer, 2012).

König, Daniel G., Arabic-Islamic Views of the Latin West, Tracing the Emergence of Medieval